صورة المراة في الاعلام
«الـواقـــــع والـمثـــــال»

د .صالحة محمد بشارة عبد الله( )

مستخلص البحث :

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على واقع المرأة في الإعلام المرئي ، والمرأة المثال من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام ، واستنباط قيم ونماذج للمرأة في القصة القرآنية الإسلامية والقيم المهنية العصرية .

واستخدم البحث المنهج المقارن ، للمقارنة بين القيم القرآنية الإسلامية والقيم المهنية العصرية.

وتوصل البحث لعدد من النتائج أهمها : التقنيات الحديثة وأفكار العولمة تخطت الخطوط الحمراء ، واخترقت المحظورات والقيم والمعتقدات ، كما عجزت الرقابات والبوابات من حماية المجتمعات من القيم الهدامة .

(●) استاذ مساعد بكلية الدعوة والاعلام/ جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية

مقدمة :

شكلت قضية الإعلام والمرأة واحدةً من القضايا المثيرة للجدل في المجتمعات العربية والإسلامية خلال العقود الماضية في ضوء تنامي الدور السلبي لوسائل الإعلام في تقديم صورة لا تتناسب مع كرامة المرأة ودروها وإنجازاتها ، وذلك من خلال ما تقدمه تلك الوسائل من محتويات ترفيهية ، وتجارية تعزز الصورة السلبية للمرأة . وقد أنجزت عشرات الدراسات في المنطقة العربية والإسلامية حيث وجدت في معظمها أن المرأة تظهر في وسائل الإعلام وخاصة التلفاز في أطر تقليدية ، وأدوار ثانوية غير قيادية ، مثلما تظهر في الإعلانات التجارية كرمز للجنس والمتعة ، وكموضوع يمكن امتلاكه من خلال ربط صورتها بصور السلع والخدمات التي يتم التسويق لها .

معظم البرامج التلفازية يتم التركيز فيها على الدور التربوي للمرأة وحياتها الأسرية ، ونادراً ما نجد برامجًا تناقش دورها في المجتمع ، حيث يظهر الرجال في الأحاديث الوعظية ، والردود على الاستفسارات الدينية والعلمية والاجتماعية ، وفي المناقشات السياسية والاقتصادية والرياضية ، وتظهر النساء في الأحاديث حول الأسرة ، وتربية الأطفال ، والمشكلات الزوجية.(١)

فالمرأة المصونة التي عرفها المجتمع المسلم في عقيدته وأدبياته ، ليست هي المرأة في برامج التلفاز فتلك التي نراها بخلاف ما أمرت به قيم الإسلام ، إذ صارت المرأة وسيلة أساس من وسائل الجذب لتحقيق الأغراض المعلنة والخفية .

(ولوسائل الإعلام من الطرق الخفية ما يساعد على تشكيل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية ، فأجهزة الإعلام تخلق معايير اجتماعية جديدة وفرضها ومتابعة كل انحراف وكشفه ، كما تستطيع أن تكّون ذوقًا عامًا فضلاً عن تعديل المواقف ، والاتجاهات الضعيفة ، بالإضافة إلى توسيع الآفاق وإيجاد الشخصية القادرة على التقمص الوجداني(٢).

ونظراً لمكانة المرأة في المجتمع كركيزة من أهم ركائزه فإنه لا بد من دراسة صورتها في وسائل الإعلام والعمل على أن تكون هذه الصورة إيجابية وواقعية ، وتعكس احتياجاتها ، مما يعزز موقعها في المجتمع ويجعلها تأخذ مكانها الصحيح .

---

(١) منى حسين : التلفزيون والمرأة (دوره في تلبية احتياجاتها التربوية) القاهرة . عالم الكتب ٢٠٠٦م ص٣٨

(٢) سيد محمد ساداتي الشنقيطي – الإعلام الإسلامي الأهداف والوظائف ، الرياض – دار عالم الكتب للنشر ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ص ٦٥ .

مشكلة البحث :

إن البون الشاسع بين الواقع الإعلامي لصورة المرأة والمثال الإسلامي تفرض تساؤلات كثيرة وتحديات عديدة حول كيفية ملء الفراغ والانطلاق نحو الوصول إلى تلك القيم العالية والمثل السامية ولذلك ترى الباحثة أن المشكلة البحثية تكمن في كيفية تكثيف المثال الإسلامي ونشره باستنباطها من القرآن الكريم والسيرة العطرة

أهداف البحث :

تسليط الضوء على واقع المرأة في الإعلام .

معرفة القيم والصور المهنية للمرأة في الإعلام .

استنباط قيم ونماذج للمرأة في القرآن الكريم

عمل مقارنات بين قيم الواقع والمثال .

و جاء هذا البحث في ثلاثة محاور مع خاتمة تضمنت نتائج وتوصيات .

المحور الأول :

صورة المرأة الواقع من خلال وسائل الإعلام .

المحور الثاني :

صورة المرأة المثال من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة القصص .

المحور الثالث :

مقارنة بين القيم القرآنية الإسلامية والقيم المهنية العصرية .

المحور الأول

صورة المرأة في واقع الإعلام

يسهم الإعلام إسهامًا أساسًا في تشكيل القيم والعادات والاتجاهات وأنماط السلوك في المجتمع

، ومن البدهي أن إحداث تغييرات جوهرية في هذه الجوانب يخدم أهداف العولمة ، وهي تسعى في الحقيقة إلى هدم منظومة القيم الاجتماعية الأصيلة والرشيدة التي تنظم وتحكم وتضبط الحياة والعادات والأفكار ، والمؤسسات الاجتماعية وأولها الأسرة ، والعلاقات الاجتماعية التي تزيد المجتمع تماسكًا وقوة كالعائلة الممتدة وصلة الأرحام والجوار والقربى وأنماط السلوك في الشارع والبيت والمدرسة وغير ذلك .

كما يبرز الدور الذي يقوم به الإعلام والسياسات المرتبطة به لأسباب كثيرة تتمثل في قدراته الهائلة في التأثير المستمر والمتعدد الأبعاد على مختلف الشرائح الاجتماعية ، علاوة على ما تتميز به وسائل الإعلام من طبيعة مزدوجة تساعدها على نشر وترويج الأفكار والقيم المتناقضة في آن واحد . فهي قد تساعد على تغيير القيم والعادات والمفاهيم التقليدية فتسهم بذلك في خلق أشكال جديدة من الوعي ، أو تعمل على تثبيت وتعميق القيم فتسهم عندئذ في تزييف وعي الأفراد بواقعهم وأدوارهم الحقيقية (١) .

وفي ضوء هذه الحقيقة تبرز الإشكالية الخاصة بموقف الإعلام من قضية صورة المرأة ، وهل يقوم الإعلام بدور إيجابي في دفع قضية المرأة إلى الأمام أم يكتفي برصد واقعها الراهن بسلبياته وإيجابياته ، أم يسعى متعمدًا إلى تهميشها وتشويه صورتها متجاهلاً دورها وإنجازاتها في مجالات التعليم ، والعمل والإبداع الفكري والفني .

تعد قضايا المرأة من أهم القضايا بروزاً على الساحة الإعلامية ، نظراً لما تشهده المرأة من اهتمامات متزايدة على عدة مستويات محلية وإقليمية ودولية.

ولذا أصبح التناول الإعلامي الصحيح لهذه القضايا من أهم الأولويات التي ينبغي أن تطَّلع بها وسائل الإعلام العربية والإسلامية في مختلف الأشكال والمضامين .

ونظراً لقدرة وسائل الإعلام على لفت أنظار الجمهور للمضامين الإعلامية ، فأحياناً يلجأ إلى تعمد الإثارة أو المبالغة فيما يقدمه من مضامين عن بعض الفئات ومن بينها المرأة ، ولذا فالصورة التي يقدم بها المرأة ، تؤثر على إدراك الجمهور لواقع المرأة(٢).

ومن حق المشاهد أن يرى أنموذجًا يقتدي به في وسائل الإعلام ، ولكن أنموذج المرأة التي تقدمه وسائل الإعلام يصعب الاقتداء به ، بل يؤدي إلى زيادة التفكك الأسري ، فعندما تعرض وسائل الإعلام المرأة دائمًا بصورة مبهجة ، ومظهر أنيق ، وفي أبهى زينة ، وأجمل ثياب ، فهذا يؤدي

---

(١)– عواطف عبد الرحمن – قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي ، القاهرة (دار الفكر العربي ، ١٩٩٧م ، ص ٦٠.

(٢) – الفضائيات العربية ومتغيرات العصر ، أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لدور الإعلام ، الدار المصرية اللبنانية ، ص ٤٧٥ .

إلى زهد بعض الأزواج في زوجاتهم اللائي قد لا تستطيع الكثيرات منهن الوصول إلى ذات الدرجة من جمال المرأة في الإعلام ، ومن هنا تحدث المشكلات بين الأزواج ، ويشعر الزوج بأنه غير راض عن مستوى جمال زوجه ، وهذا باب واسع لإفساد العلاقة الزوجية وبالتالي انهيار العلاقات الأسرية وخراب البيوت .

كما مارس الإعلام عملية تهميش لوظيفة المرأة ، وذلك من خلال تركيزه على موضوعات الطبخ وديكور البيت ، والرشاقة والأزياء والتجميل ، وعزز في ذهن المرأة أن الجمال مطلب أساس ومهم في حياتها تستحق أن تنفق من أجله الغالي والرخيص ، وأنه الطريق الأمثل والأفضل للنجاح في الحياة الأسرية والاجتماعية . وتجاهل الإعلام أن للمرأة حاجات فكرية ونفسية فهي بحاجة لأن تسمو بنفسها ، وترقى بذاتها حتى تستطيع أن تقوم بدورها الكبير في المجتمع . وهذه الصورة المهمشة التي رسمها الإعلام للمرأة قد أثرت في وضع المرأة في بلادنا العربية والإسلامية وأفقدتها الكثير من مقومات هويتها الإسلامية .

إذًا طالما همشت المرأة وشوهت أدوارها وزيف واقعها لإخراجها تدريجيًّا من قلعتها الحصينة ، وقيمها الأخلاقية العالية وعقيدتها ، واتهامها بأن الصورة المزيفة التي صورتها بها تلك الوسائل هي الصورة المثالية التي ينبغي أن تكون عليها من أجل إفراغ المرأة وإخوائها كونها الحلقة الأضعف في رأيهم(١).

بينما الواقع الاجتماعي يحفل بالصورة الإيجابية الصحيحة فإن هناك الكثير من الشابات الملتزمات المتفوقات علميًّا وعمليًّا وعاملات مؤثرات في أسرهن وفي مجتمعاتهن وهذا تغييب تام للأنموذج الإسلامي للمرأة وكأن الصورة الإسلامية للمجتمع وللمرأة المسلمة لا تصلح للظهور في وسائل الإعلام .

فمعظم البرامج التي تعرض على التلفاز والتي تهتم بشؤون المرأة عندما تتحدث عنها فإنها لا تبرزها إلا مصدراً للشهوة ومرتعًا لنزوات النفس ، وفي المقابل ضاع أو غيب عن قصد دورها في الأمومة الحنونة التي تنشئ الأجيال وتربي الأمم .

---

(١) – نجاة عبد الجبار ، أضواء على صورة المرأة في الإعلام – بغداد – العراق (دار الفجر للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م ، ص ٣١٠ .

٢ صالحة محمد بشارة :رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان : اتجاهات الأسرة المسلمة نحو المسلسلات العربية ، جامعة القرآن ٢٠٠٢م

٣ ديوان حافظ إبراهيم ،مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢ ١٩٨٠م ، ص٢٨٢

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ضاع دور المرأة التي تقف مع زوجها ، وتوجه كل قدراتها المالية ، والمعنوية في سبيل إسعاد الحياة الزوجية مثل السيدة خديجة ثرية أثريا مكة، كما ضاع دور المرأة العفيفة المصون التي تحفظ زوجها في حله وترحاله كمريم العذراء حينما جاءها الملك قالت له (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا)(١) .

فالمرأة هنا تشير إلى التقوى التي تنبع من العفة فهي لا تراقب الناس بقدر ما تراقب معية الله .

آن الآوان لتصحيح الصورة المشوهة للمرأة في الإعلام وأن تطَّلع المرأة بمسؤولياتها كاملة تجاه ذاتها ومجتمعها المنشود ، وآن الآوان لتمكينها علميًّا ونفسيًّا من معرفة حقوقها وواجباتها ، قال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) (٢) .

كما ينبغي أن يتجه فكر المرأة إلى المشاركة الإيجابية في توجيه المجتمع للتمسك بالقيم الإسلامية ، وإزالة العوائق عن طريقها وتحريرها من آثار الاستعمار بكل أنواعه و ألوانه(٣)

(١) – سورة مريم – الآية : ١٨ .
(٢) – سورة آل عمران – الآية : ١٩٥ .
(٣) يوسف القرضاوي : لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر، القاهرة مكتبة وهبة، ط٣ ٢٠٠٦م ، ص١٦٦.

المحور الثاني
صورة المرأة المثال
(من خلال قصة سيدنا موسى في سورة القصص)

قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)(١).

من خلال هذه الآيات نتطرق إلى دور المرأة في حياة سيدنا موسى عليه السلام والقيم المرتبطة بها

أولاً: القيم المرتبطة بالمرأة كأمّ

قيم الإيمان:

قيمة الإيمان قيمة عليا في الدين الإسلامي ، وإذا ذكر الإيمان وعظم شأنه في الحياة لزم التنبه إلى ضرورة تربية معانيه في سلوك الإنسان وتوجيهه ويتعاظم أثر هذا الإيمان على سلوك الإنسان كلما زادت قناعته بما يؤمن به ، فالإيمان شلال قوي ، وقوة هائلة تكّون الأخلاق ، وتوجد الإحساس بالمسؤولية وتولد روح الوعي ، فهو يؤثر تأثيراً عجيبًا في النفوس حيث يعمل على تحرير النفوس من سيطرة غيره ، وفي الوقت نفسه يعمل على تغيير النفوس ، ويبعث فيها روح الشجاعة والاحترام والتضحية .

فالإيمان من أعظم القيم الإنسانية ، وهي قوة جسمانية, وطاقة روحانية ، ووقود فكري ، إذا حلت في أضعف خلق الله أحالته إلى قوة متعددة الآثار والأفعال.

إن الواقع الذي عاشت فيه أم موسى وهي حبلى بجنينها تترقب قدومه للحياة في وسط من الظلم والقهر بقتل المواليد ، يشكل آلامًا نفسية مع آلام الحمل وأوجاع المخاض ، ولكن في الوقت نفسه تحلم بمن يكون لها سندًا وعزاً ومفخرة ، هذا الشعور يخفف دائمًا آلامها وأوجاعها ، ولكنها تعلم أنه وبمجرد قدومه للحياة يقتل فيزداد خوفها عليه ، فيوحي لها الله سبحانه وتعالى بأن (أرضعيه) كما يخبرها بأن الأمان أن تلقيه في اليم بلا خوف ولا حزن ويبشرها برده إليه وجاعله من المرسلين

---

(١) – سورة القصص – الآيات من ٧ – ٩ .

، ولذلك عاشت أم موسى وتفاءلت مع هذه البشارة وهذا الأمل المشرق ، فقذفته في اليم متوكلة على وعد الله ومتيقنة بالبشارة .

وهكذا يفعل الإيمان حينما يلامس شغاف قلب المؤمن يجعله يخوض الأهوال ، ويضحي بنفسه وفلذة كبده ، ولكن هذا الإيمان يحتاج إلى زاد ومدد ، فهو يعلو ويهبط ، ويزداد وينقص ، ويدخل وسواس شياطين الإنس والجن ليزحزح ما رسخ في النفس ، وثبت يقينًا في الوجدان . لذلك أصبح فؤاد أم موسى فارغًا من قوله تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)(١).

وعبارة (وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا) تعبر بما يصل إليه الإنسان أحيانًا وهو متزعزع الإيمان من إحباطات حتى يكاد يخرج أسرار النفس التي تضره ، حينها تتدخل العناية الإلهية بمدد من عنده (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) فالإيمان لا يكون إلا بإذن الله فانتفضت مطمئنة وقالت لأخته (قصيه) لقوله تعالى : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)(٢). تابعت إيمانها بالعمل فنصرها الله تعالى . بقوله : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)(٣).

بأن أصبحت هي وابنها يعيشان في كنف فرعون بأجر مرضعة ، فضلاً عن أنها أم ترى ابنها ، وتشملها رعاية سيدة القصر وهي قريرة العين كما ترى وعد الله بأكثر مما تتصور ، وتنظر إلى ما يجري في القصر وخارجه من ظلم وفساد ، فتعلم بيقينها أن ابنها سيكون المخلِّص لأنه من المرسلين ، وهذا وعد الله ، ووعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

---

(١) – سورة القصص – الآية ١٠ .
(٢) – سورة القصص – الآية : ١١ .
(٣) – سورة القصص – الآية : ١٢ .

ثانيًا - القيم المرتبطة بالمرأة كأخت :

قال تعالى : (وَقَالَت امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين * وَقَالَتْ لأُخْتِه قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِه عَن جُنُب وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)(١).

قيم التضحية والفداء:

إن الله سبحانه وتعالى يبيِّن لنا في هذه القصة دور المرأة في أعظم أنبياء بني إسرائيل (سيدنا موسى عليه السلام) وهو من أولي العزم وأكثر ما ذكر قصته في هذا الكتاب الكريم ، كما يريد الله سبحانه وتعالى أن يبيَّن لنا دور المرأة في أي مجتمع حتى حينما تنحدر إلى درك الرذيلة والفساد والطغيان كما يحدث من فرعون وجنوده .

إن أخت موسى قامت بدور استخباري إعلامي كبير ، فقد تتبعت الأثر وتسللت إلى باب القصر حتى بصرت أخيها بين جنود فرعون ، ومع ذلك لم تنسحب راجعة خائفة ، بل ظلت يقظة تراقب ما يمكن أن يحل بأخيها وتسمع ما يدارمن حديث ، ولا بد أنها فترة طويلة كما يوحي نص الكلمات بذلك وهي قوله تعالى : (وحرمنا عليه المراضع من قبل) فأية مرضعة تعرض عليه يقوم برفضها ، ولما ازداد بكاء الطفل واحتاروا تقدمت بعرضها لهم ، وهي غريبة عنهم ، ولكنهم محتاجون لحل عاجل وسريع ، (فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) . إذًا فهو اقتراح وعرض متكامل وحلٌ للمشكلة من جذورها ، ولم تبدِ أدنى شك بمعرفة الطفل ولكنها قالت في ثبات ويقين ، فما كان منهم إلا أن وافقوا على المقترح ، وكانت الدليل إلى أهل البيت الذي يكفلونه وهم له ناصحون .

وفي هذا الموقف ضربت أخت موسي مثلاً رائعًا في حسن الخلق وتجلى ذلك في طاعتها لأمها وإحسانها لأخيها وتحملها المصاعب والمخاطر وهي تقص أثره في حيطة وحذر، وتصرفها بحكمة مع آل فرعون (٢).

ولذلك نجد أن للمرأة في المجتمع أدواراً بارزة وفاعلة, وللأخوات في الأسرة مكانة عظيمة خاصة في وقت الأزمات من حروب وكوارث وغيرها حيث يغيب الرجال أحيانًا وبعضهم يهرب من مسؤولياته فتبرز المرأة صابرة صامدة ، تسد الثغرات فمن خلال هذه القصة يجب أن يهتم

---

(١) – سورة القصص – الآيات : ٩ ، ١٢ .

(٢) – أحمد الشرقاوي : المرأة في القصص القرآني ، المجلد الأول ،القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر . ط٢ ،٢٠٠٣م ،ص٤٦٦

المجتمع بدور المرأة ، وأن يعلي من شأنها ويرفع من قدرها ، فلا يتركها كسيفة البال ، مهيضة الجناح حتى تتكامل في دورها مع الرجل فترتقى في شأني الدنيا والآخرة .

ثالثا - القيم المرتبطة بالمرأة كفيلة ومتبنية :

قال تعالى : (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١) .

قيم الكفالة والرعاية :

إنّ القيم الموجهة في هاتين الآيتين كثيرة وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى في الآيتين أعلاه قيمًا وأهدافًا ومرامي نتعلم منها ، ونستهدي بهديها ، وهي لا تخرج من واقع المجتمعات في كل زمان ومكان ، ذلك أن عبارة (فالتقطه آل فرعون) تشير إلى أن موسى وهو طفل حطت به أمواج اليّم على باب قصر فرعون ، حيث لم يعرف له أهل فهو كاللقيط عندهم وقد كانوا خاطئين, وأرادوا أن يقتلوه كعادتهم في قتل الأولاد في أحضان أمهاتهم فما بالهم وقد وجدوه أمامهم ، أما امرأة فرعون ولأنها مؤمنة تعيش وسط ظلم فرعون وقهره فرأت في الطفل برآءته وضعفه ، فأخذتها عاطفة الأمومة وحنانها(فقالت قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا) إن المرأة أيًا كانت ثرية أو فقيرة ، ذات جاه وسلطان أو وضيعة تحلم أن تكون زوجًا ، ثم تحلم أن تكون أمًّا فتتملكها العاطفة وتتجاذبها مشاعر الأمومة وبذلك تكتمل أنوثتها ووضعها الاجتماعي ، ولذلك نجد في كثير من مجتمعات الغرب النساء يتسابقن وراء متع الحياة ولهوها بعيدًا عن الإنجاب ومخاضه ، حتى إذا تقدم بهن العمر بحثن بكل غال ونفيس عن الإنجاب ، فإن عجزن عن ذلك اتجهن للتبني ولو بعض الكلاب والقطط حتى يقمن بتوريثهم بعد الممات .

إن اقتراح امرأة فرعون نبع من الفطرة السليمة للمرأة المؤمنة الصادقة في مشاعرها برغم جاهها وسلطانها, وعيشها في رغد وفير ، وهي بذلك تقدم أنموذجًا ومثالاً للأسر القادرة لتبني الأطفال ورعايتهم حتى ولو كانوا (لقطاء) وما أكثر ما تعج بهم المجتمعات ، وتمتلئ بهم دور الرعاية ، والشوارع حيث يفتك بهم الحرمان ، وتهجم عليهم الأمراض ، وتنهشهم الوحوش وهم ما زال عودهم غضًّا. إن مثال امرأة فرعون وقد ضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا ليستهدوا بها قدوة وأنموذجًا لرفض

---

(١) – سورة القصص – الآيتان : ٨– ٩ .

العدوان وظلم الآخرين ، والالتجاء إلى الله وما عنده من الثواب الجزيل . يقول تعالى : (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين)(١).

إن قيمة التبني للأطفال فيها مصالح متبادلة ، ومنافع متكاملة فضلاً لما يجود به المستقبل للطفل المتبنى فقد يكون ناجحًا ومصلحًا في مجتمعه وقومه رحيمًا بمن تبناه في صغره ، فهي دعوة للتكافل لحماية المجتمعات من أمراض التشرد والحرمان ، ولكن التبني لا بد أن يكون وفقًا للرؤية الإسلامية حتى لا تختلط الأنساب . قال تعالى : (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ...)(٢) .

رابعًا – القيم المرتبطة بالمرأة كبنت :

قال تعالى : (... قالتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ...)

(فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا...)

(قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)(٣).

قيم البر بالوالدين والإحسان :

يخبرنا الله سبحانه وتعالى من خلال هذه الآيات على لسان المرأتين أن أباهما قد تقاعد عن العمل ، فهو شيخ كبير لا يستطيع سقاية الأغنام ورعايتها ، أذًا هذا الأب أصبح قعيد المنزل يحتاج لرعاية ، والعبارات من قبل المرأتين وهي : أبونا ، إن أبي ، يا أبت تنم عن مشاعر الرحمة ، وخفض الجناح ، والحنان والمودة بالوالد الشيخ الكبير .

إن من أعلى قيم الإنسانية البر بالوالدين ، والاهتمام برعايتهم والتأدب في التعامل معهم ، وإن التوجيهات الربانية في القرآن الكريم كثيرة في هذا الجانب ومقرونة مباشرة بعبادة الله ورضاه . ولكن كثيراً ما يغفل الأبناء عن القيام بحقوق الوالدين .

---

(١) – سورة التحريم : الآية ١١

(٢) – سورة الأحزاب : الآية ٥

(٣) سورة القصص – الآيات : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦

قال تعالى : (... ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً)(١) .

إن هذه القصة تضع لنا التطبيق العملي لرعاية الآباء في صورة مبسطة في أسرة صغيرة بسيطة تعيش على رعاية الأغنام ، إلا أنها تمتلك قيمًا حضارية وسلوكًا إنسانيًّا رفيع في فن المعاملة في الأفعال والأقوال وهي قيم تحتاج إليها مجتمعاتنا وأسرنا اليوم ، ولا سيما أنه قد دخلت علينا ثقافات وأنماط من السلوك المشين خاصة في رعاية الوالدين ، فكم من أب تقدم به العمر وقلت حركته ، وضعفت قوته ، وفقد كثيراً من أقرانه ونثر كنانته بنين وبنات فغادروه لشؤونهم ، وترك وحيدًا حبيس الجدران ، ومنهم من وضع في ركن قصي من داره ، ومنهم من أحيل إلى دور العجزة والمسنين .

ومع تقدم الحياة العصرية ، وكثرة الوسائل الترفيهية والتعليمية انحسر دور الأجداد والجدات والذين يتمتعون بسرد الحكايات والقصص لأحفادهم ، ونقل الثقافات ، وتأريخ العشائر في سهرات ليلية يجدون فيها المؤانسة قتلاً للوقت كل هذا أصبح أثراً بعد عين ، حيث انصرف الأحفاد إلى وسائل الإعلام لهوًا ولعبًا ، فقلّ تشرب الثقافات الأصيلة ، والقيم والعادات والتقاليد ، فانعكس ذلك على السلوك العام ، وقلت قيم الاحترام والمودة للكبير والسماع إليه وأخذ نصائحه . إن هذه القصة تدعونا وبإلحاح شديد إلى الالتفاف حول كبارنا ورعايتهم ، وأخذ الحكم والتجارب منهم ، والتوازن ما بين وسائل العصر ، وما يتلقاه صغارنا من آبائنا وأمهاتنا حتى نجد ذلك عندما نصل إلى ما صاروا إليه.

خامسًا – القيم المرتبطه بالمرأة كزوج :

قال تعالى : (ولما ورد ماء مدين ووجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تزودان قال ما خطبكما .....)(٢) .

(١) – سورة الإسراء الآيتان : ٢٤– ٢٥

(٢) – سورة القصص الآية : ٢٣

قيم التعاون والمودة والرحمة :

إن الفطرة التي وضعها الله تعالى للإنسان هي فطرة تهذب حياته وتأخذ بيده إلى بر الأمان ، وأعظم شيء عندما يبلغ المرء أشده وينضج عقله ، أن يكون له رفيقة درب ، وحبيبة فؤاد ، وزوجة حياة تقاسمه السراء ، وتعينه على الضراء ، فتستقر نفسه ، وتسكن روحه .

إن سيدنا موسى عليه السلام بعد أن بلغ أشده واستوى, وأوتي حكمًا وعلمًا ، وهو ذو روح جياشة ، ونفس ثورية ، وبدن قوي ، وخلق أمين ، هذه الصفات يريد الله أن يوائمه ، ويعده لحمل رسالته كما هيأ له زوجة تمتلك من الصفات ما تستطيع به أن تقوم بالأعباء وتسهم في تهدئة النفس الثوارة والروح الوثابة .

ومن خلال الآيات السابقة نلحظ بعض الصفات في تلك الزوجة وتتمثل في التالي :

أنها امرأة عاملة في مجال رعي الأغنام ، وهو عمل يحتاج لصبر وتحمل لما لطبيعة الأغنام من النفور ، وأنها امرأة نشيطة غير خاملة .

أيضًا هي امرأة تأنف أن تختلط بالرجال برغم ظروفها ، ولذلك هي وأختها تزودان حتى يصدر الرعاء .

ذات بيان تفصح عن حاجتها دون تلجلج أو تلعثم برغم حيائها ، وهي قيمة عليا تحتاج إليها المرأة اليوم .

كما أنها مبادرة تقدم رأيها وتشارك في حوار مع أبيها ، بوجود الغريب وتدعم رأيها بتزكية واضحة في قولها (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) .

ومن الآيات السابقة أيضًا أن سيدنا موسى قد أتى من بيئة تمتهن فيها كرامة المرأة فأعجبته صفات تلك المرأة ، وقبل بالزواج منها ، حتى تكون له عونًا ورحمة ومودة ، ولذلك نجد أن المرأة في حياة سيدنا موسى عليه السلام كانت لها آثار واضحة وبينَّة في التربية والإعداد في جميع مراحل الحياة ، وهكذا تكون قيم المرأة المؤمنة في حياة الدعاة سندًا ودعمًا ومؤازرة في جميع الأوقات ، ورسولنا الكريم هو المثل الأعلى في هذا الجانب فحينما يلم به كرب يهرع إلى خديجة رضي الله عنها ، وحينما يريد أن يكتم سراً كانت فاطمة رضي الله عنها وحينما يعصى له أمر كانت أم سلمة رضي الله عنها برأيها وعند سكرات الموت كانت عائشة رضي الله عنها بحجرها.

وونخلص الى أنَ هذا عرض سريع ومقتضب لصورة المرأة في الإعلام ، وتعتبر من أشد الصور خطراً في إضعاف قيم المجتمعات مما يلقي على المجتمع الإسلامي مسؤولية كبرى لمواجهة هذا التحدي .

ووسائل الإعلام من الأبواب التي يلج منها الأعداء وما يحدث فيها من التفنن في عرض المرأة وإبراز مفاتنها والترويج لأدوات الزينة والخلاعة ما هو إلا نهج من مناهج الطغاة أمثال فرعون وأمثاله في كل زمان ، فلذلك لا بد من اتباع منهاج النبوة في نبأ سيدنا موسى عليه السلام من خلال العرض السابق كيف وأن للمرأة قيمًا سامية ، ومثلاً عليا أبرزتها القصة التي تتبعنا آثارها في حياة سيدنا موسى عليه السلام مع المرأة أيًا كانت ، فعلى وسائل الإعلام الإسلامي أن تهتم بمثل هذه القيم ، وأبرازها وتشويق الناس إليها حتى يمكنها تكوين إعلام رسالي ، يستمد برامجه وأفكاره من قيم القرآن الكريم وقصصه ، قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(١) .

(١) سورة يوسف – الآية ١١١

المحور الثالث
مقارنة بين القيم القرآنية الإسلامية و القيم المهنية العصرية

أولاً – عندما انحطت المجتمعات الإسلامية وتخلت عن قيمها وموروثاتها الحضارية ضعفت المرأة وهمشت أدوارها وضربتها ركامات التقاليد وأصبحت قعيدة البيوت تنهال عليها اللعنات وتستخدم لإشباع الرغبات وحرمت من حقوقها الاجتماعية فضلاً عن الشرعية وحينما هب الاستعمار على الشرق الإسلامي قدم بأفكاره وثقافاته منها تحرير المرأة في الشرق المتخلف عن ركب الحضارات وذلك للوصول إلي تحقيق أهدافه عبر المرأة . فكثف الحديث عنها وعن حقوقها ومساواتها بالرجل حتى في الميراث وحريتها وشنت حربها على التعدد وقوانين الأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية ومما يؤسف له وجود كثيرين من أبناء الأمة الإسلامية يهيمون بذات الأفكار ويدافعون عنها بأشد من الغزاة حتى أصبحت المناهج الدراسية والمؤسسات التربوية والتوجيهية تتبنى هذه الأفكار وترصد لها الميزانيات والحماية الرسمية وتقف من خلفها المنظمات الدولية والحقوقية وتتدخل فيها البعثات الدبلوماسية وتعقد من أجلها المؤتمرات وتوضع رقابات لتنفيذ قراراتها ومراصد لتتابع وتطابق معاييرها الدولية كمؤتمر القاهرة ومؤتمر بكين .

إن قيم الاهتمام بالمرأة في الواقع الإعلامي بهذه الكثافة تؤكد أهدافها الخفية لإخراج المرأة من قيمها وموروثاتها الحضارية حتى يؤدي إلى إضعاف المجتمعات ومن ثمَّ تسهل هزيمتها .

أما اهتمام الإسلام بقضايا المرأة فمنذ أن جاء أول يوم وجدها تعيش تحت الاضطهاد حيث لا حقوق لها ولا حرية وكذلك تصادر أموالها كما تصادر وتنتهك حرمتها وكما يفتك ببراءتها وهي ما زالت طفلة . لذلك جاء الإسلام وأطلق عقالها وساواها بالرجل في تحمل المسؤولية .

كما رفع عنها الأغلال والعلاقات الظالمة في الزواج والطلاق، و تربية الأبناء، وأعطاها حق التملك في الميراث والتصرف في أموالها كما تشاء تجارة وصدقة، وحرر عقلها فانطلقت مجاهدة ومقاتلة وإدارية ومتحدثة يطلب منها العلم والرأي والمشورة .

إن قيمة تحرير المرأة في الإسلام ذات أهداف عالية من أجل نهضة المجتمعات وتقدمها وتطورها ، ولذلك نجد هذا الفرق الشاسع بين الواقع والمثال كما في الغايات والنتائج.

ثانيًا – من الواقع الإعلامي نجد أن الإعلام يهتم بالجمال الظاهري لدى المرأة ويتخذها وسيلة لمخاطبة العواطف وإثارة الغرائز وجذب الحواس وبذلك جعلها سمة بارزة في وسائل الإعلام للبحث عن المرأة بمواصفات جمالية عالية لا تمتلك من المواهب الإبداعية الأخرى إلا شيئًا قليلاً ، أما القيم الإسلامية العليا فيهتم بجمال الجوهر والمضمون مع إيمان وحياء واحتشام وعفاف وفي السيرة النبوية أمثلة كثيرة فمنها هاجر أم إسماعيل وهي أمة سوداء دفنت بجوار الكعبة إكرامًا لها يطوف بقبرها ملايين البشر ، وسمية أول شهيدة في الإسلام من الموالي وغيرهما كثيرات .

ثالثًا – إن الواقع الإعلامي يركز على تهميش المرأة وشغلها بقشور الحياة وقيامها بالأدوار الثانوية بتركيزها على التسوق والطبخ وصناعة التجميل من مجوهرات ومساحيق ووصفات الرشاقة وتخفيف الوزن ، حيث تقام لها المهرجانات والجوائز للاحتفاء بها (ملكات الجمال)حيث أضحى هاجسها النفسي وخوفها أن تذبل ويذهب ريحها فيتخلى عنها المنبهرون بها إلى غيرها .

أما قيم الإسلام فتوزان بين مسؤوليات المرأة التربوية والمنزلية المتمثلة في رعاية الأطفال وتنشئتهم، ولرعاية الزوج وإكرام الضيف، ووصل الأرحام، كما أعطى الإسلام الحق السياسي للمرأة من أول يوم للدعوة فأول من استشهد في سبيل الإسلام امرأة (سمية بنت الخياط) وقد حضرت النساء بيعتي العقبة الأولى والثانية وتعتبر البيعتين بمثابة المؤتمر التأسيسي لقيام الدولة الإسلامية ، وكانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يحضرن الغزوات ويملأن الجرار بالماء ،ويداوين الجرحى ويقمن بحراسة المتاع ،وكانت أم أيمن تقف في غزوة أحد بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم تنادي في الناس بالثبات والشجاعة، وكانت أم عمارة الأنصارية في هذه الغزوة نفسها قد خرجت أول النهار ومعها سقاء ماء تدور به على المسلمين المجاهدين . كما كانت المرأة عونا للمجتمع بالترابط والتعاون ودفعًا للحياة الاقتصادية بالإنتاج وتدبير المعاش .

رابعًا – إن واقع الإعلام المرئي يركز على إثارة الغرائز ونزوات النفوس بالعرض المستمر للمرأة كاسية عارية يقوم عليها كتَّاب الأدب الرخيص المبتذل، ويعمل عليها مخرجون يشرفون على إبراز المفاتن، والمشاهد الساخنة والعورات الغليظة، وينتهكون كل محظور ويحلون كل حرام بدعوى الواقعية والشجاعة المهنية والجرأة الإبداعية، وتسعى في تسويقها وترويجها شركات إنتاج لها أهداف تغزو بها القنوات الفضائية، والمواقع على الشبكة الدولية للمعلومات مستفيدين من التقنيات الحديثة في انفجار المعلومات وتدفقها، وانهيار الرقابات والبوابات لبث السموم.

وزرع الفجور على الأجهزة النقالة والجوالة ،حتى ظهرت الخيانة الزوجية الإلكترونية والمعاشرة غير الشرعية عبر الأثير باتخاذ الخليلات والأخدان، لنقل الصور وتحويل الأفلام الخليعة والإباحية، ونشر الشذوذ وسط عجز الآباء والمربيين والمصلحين حيث لا عاصم إلا الإيمان الراسخ والطريق القويم لتصريف هذه الشهوات عبر القيم الإسلامية الداعية لرعاية المرأة وعدم استخدمها لإثارة الشهوات

والسعي للنكاح لصيانة الأنفس والمجتمعات .

الخاتـــمة

خلص هذا البحث إلى نتائج وتوصيات يمكن إجمال أهمها في التالي:

أولاً – النتائج:

١– ما زال الإعلام في المجتمعات الإسلامية في غالبها محتكر لأصحاب الأهواء والأغراض و أذناب الاستعمار .

٢– التقنيات الحديثة وأفكار العولمة تخطت الخطوط الحمراء واختراق الحواجز والقيم والمعتقدات .

٣– عجز الرقابات والبوابات في حماية المجتمعات من تسرب القيم الهدامة والانحطاط .

٤– تجدد معاني التدين والتمسك بقيم الإسلام قادر على هزيمة الغزوات الخارجية .

٥– قابلية المجتمعات الإسلامية لتقبل القيم القرآنية ومما يؤكد ذلك التدين والاحتشام والصحوة في المجتمعات وتراجع كثير من المفاهيم الدخيلة .

ثانيًا – التوصيات:

ضرورة إكساب المرأة المهارات والخبرات والمعارف اللازمة للقيام بأدوراها الاجتماعية داخل أسرتها وفي الحياة العامة .

أهمية إفساح المجال لمشاركة المرأة المشاركة الفاعلة الواسعة في صناعة الرسالة الإعلامية في مختلف وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة لتصحيح فكر المرأة عن ذاتها وأدوارها .

ضرورة إيجاد البدائل في مجال الإعلام بمختلف فنونه وضروبه وألوانه على أن تكون هذه البدائل ملتزمة بالرؤية الشرعية .

التأكيد على أهمية القيم الإسلامية وبثها في البرامج التلفازية الموجهة للمرأة .

على الدعاة الإعلاميين تسليط الضوء على أهداف قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومراميها.

هنالك قيم ونماذج وأمثلة حضارية للنساء في كثير من الآيات وقصص القرآن تحتاج لمزيد من البحث والتدقيق .

على القائمين على أمر تخطيط البرامج المخصصة في شؤون المرأة وتنفيذها الاهتمام بجوانب الثقافة وتنمية الفكر ، والتوعية الهادفة واحترام رسالة المرأة السامية .

والله من وراء القصد

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

التفسير .

عواطف عبد الرحمن : قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٩٧م .

نجاة عبد الجبار : أضواء على صورة المرأة في وسائل الإعلام ، بغداد – العراق ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ط١ ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.

المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الاتصال ٢٠٠٧م .

سيد محمد ساداتي الشنقيطي – الإعلام الإسلامي الأهداف والوظائف ، الرياض – السعودية ، دار عالم الكتب للنشر ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

زغلولة السالم : صورة المرأة العربية في الدراما المتلفزة ، عمان ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

أحمد محمد الشرقاوى : المرأة في القصص القرآني ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر ٢ط ، ٢٠٠٣م .

منى حسين : التلفزيون والمرأة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

يوسف القرضاوي : لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر ، القاهرة _ مكتبة وهبة ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .

ديوان حافظ إبراهيم : مصر، الهيئة المصرية للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

صالحة محمد بشارة ، اتجاهات الأسرة المسلمة نحو المسلسلات العربية (رسالة ماجستير غير منشورة _ جامعة القرآن الكريم).